الجار

تقع الجار على ساحل البحر الأحمر غرب المملكة، على بعد ١٠كم إلى الشمال من بلدة الرايس، عند تقاطع خط الطول ٣٣َ ٣٨ْ شرقاً ودائرة العرض ٣٧َ ٢٣ْ شمالاً، وتعرف اليوم باسم رأس البريكة. وكانت الجار ميناء يخدم المدينة المنورة خلال الفترة الممتدة من القرن الأول الهجري إلى القرن السادس، وقد بنى فيها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب مخازن لاستقبال الأقوات المرسلة من مصر إلى المدينة المنورة وعين عليها والياً. ويرد وصف الجار في عدد من كتب الجغرافيين المسلمين الذين تحدثوا عن الحجاز في تلك الفترة، ومن ذلك ما ورد في معجم البلدان عن عرام السلمي، الذي عاش في القرن الثالث الهجري حيث يقول:

والجار على شاطئ البحر ترفأ إليه السفن من أرض الحبشة ومصر، ومن البحرين والصين، وبها منبر، وهي قرية كبيرة آهلة، ويشرب أهلها من البحيرة، وبالجار قصور كثيرة، ونصف الجار في جزيرة من البحر ونصفها على الساحل.

وفي القرن الرابع الهجري وصفها المقدسي وذكر أنها «محصنة بثلاثة حيطان والرابع البحري مفوه، وأن بها دوراً شاهقة وسوقاً عامرة، وجامعاً ليس له صحن، وأنها خزانة المدينة ...» (١٩٨٧: ٨٣). وفي القرن الخامس الهجري نزل بها ناصر خسرو وذكر أنها «ميناء، وقرية صغيرة» (١٩٨٣: ١٩٢). وفي النصف الأول من القرن السادس الهجري وصفها صاحب كتاب نزهة المشتاق وذكر أن «المراكب إليها قاصدة ومقلعة وليس بها كبير تجارات» (الإدريسي ١٩٨٩: ١١٥).

رسم لموقع الجار الأثري

ويعد موقع الجار من أهم مواقع الموانئ الإسلامية المبكرة في ساحل البحر الأحمر. وتتكون الآثار الباقية بهذا الموقع من مجموعة كبيرة من التلال الأثرية، تحيط بها من ثلاث جهات بقايا أسوار مدينة الجار وبوابتها، وبقايا أرصفة الميناء.

ويرتفع موقع الجار الأثري نحو ٣,٥م عن مستوى سطح البحر، ويشغل مساحة كبيرة تنتشر عليها معالم الجدران وكسر الفخار والخزف والزجاج الإسلامي، وكسر السيلادون الصيني وهو اسم يطلق على نوع من الفخار الصيني يشمل عدة أنماط، يتميز بصلابة عجينته الفخارية وظهور طبقة تزجيج عليه عالية التماسك وأحياناً تكون سميكة وغالباً ما تكون أحادية اللون- ويلاحظ توافره بكثرة على سطح الموقع.

وأسوار مدينة الجار وبيوتها مبنية بالحجر الجيري المشذب، وقد أظهرت المجسات الآثارية التي نفذت بالموقع وجود أكثر من طابق واحد في بعض منازلها، ووجود مستويات سكنية متتابعة بالموقع، يرجع أقدمها إلى فترة صدر الإسلام. كما يضم الموقع أيضاً آثاراً من

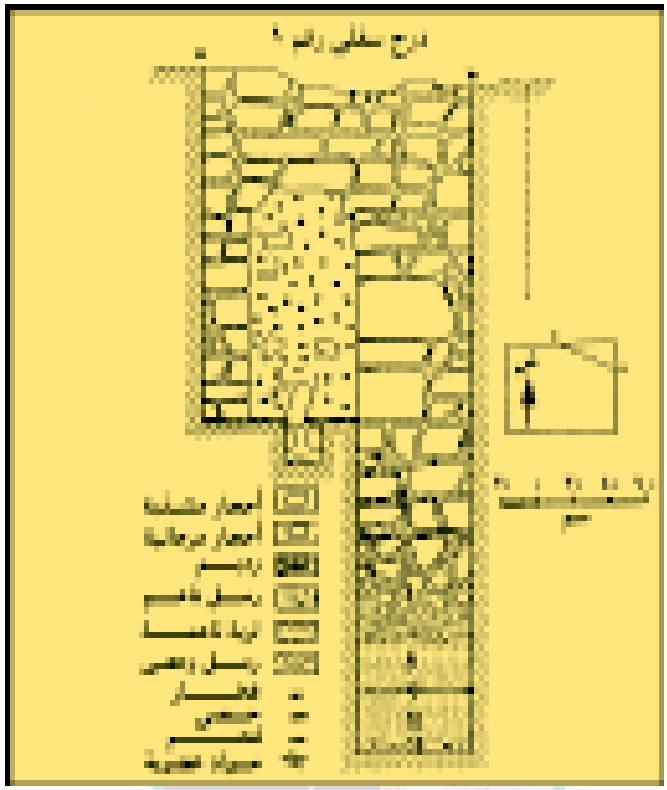

مقطع لأحد المجسات بالجار، يوضح عمق الطبقات الأثرية وتسلسلها

الفترة السابقة للإسلام، فقد عثر في سطحه على عملة رومانية أرخت بالفترة ما بين سنتي ٣٥٠ و٣٥٣ ميلادية.

جازان السفلى

يتميز وادي جازان الخصيب باحتوائه على عدد غير قليل من المواقع الأثرية التي تدلل، بما لا يدع مجالاً للشك، على قدم الاستيطان فيه، لاسيما في دلتاه العريضة التي تتسع كلما اقتربت من مصبه في البحر الأحمر، ومن أهمها: العُدَيْنَة والمَنَارَة والمِنجارَة.

والعُدَيْنَة. أول هذه المواقع وأقدمها وتقع على بعد ٤كم إلى الشرق من قرية الخَصَاوِيَة المعروفة بالقرب من مدينة جازان جنوب غرب المملكة على خط الطول ٣٨َ ٤٢ْ شرقاً ودائرة العرض ٥٤َ ١٦ْ شمالاً. والخصاوية من أقدم قرى الوادي، إلا أنها مطمورة تحت الرمال في الوقت الحاضر، ولم يبق منها إلا بعض أساسات الأبنية، ومخلفاتها من

واجهة أحد البيوت القديمة المتهدمة في جازان

الحجارة والآجر. وينقل العقيلي الجغرافي السعودي في كتابه الآثار التاريخية في مقاطعة جازان عن شيخ وادي جازان أن السيل كشف، في بعض السنوات، عن سلسلة من الآبار يبلغ عددها ٥٠ بئراً في خط مستقيم. وظهر قرب هذه الآبار أساسات لبناء حوله مذاود، وأحواض، ومرابض، يرجح أنه كان إسطبلاً للخيول (١٩٧٩: ٦٦).

المنارة. تقع على العدوة الشمالية لوادي جازان، وهي ملاصقة للعُدَيْنة إن لم تكن قد قامت على أنقاضها طبقاً للاعتقاد السائد عند كثير من أهالي الوادي. وهي مندثرة أيضاً، ويظن أن خرابها تم على يد الأمير خالد بن قطب الدين، أمير منطقة جازان في الفترة من سنة ٨٠٣- ٨٤٢هـ/ ١٤٠٠-١٤٣٩م. وينسب إلى المنارة أن كثيراً من آثارها نقلت إلى خارجها، إذ يذكر العقيلي أنه رأى أربعة من شواهد القبور في قصر الإمارة جلبت إليها من المنارة، كما ينقل عن شيخ الوادي، وهو شاهد عيان، أن أحد رجاله عثر على خمس قطع نقدية ذهبية، بجانب ما كان يعثر عليه عند جرف السيول للموقع، من آنية فخارية بعضها بصورته الكاملة.

المنجارة. وتقع في أسفل وادي جازان، إلى الشمال من مدينة جازان بحوالي ٥كم على الطريق القديم بينها وبين محافظة صبيا.

الواجهة الجنوبية لبعض بيوت الأدارسة في مدينة صبيا – جازان

وتمتد تلالها الأثرية من مجرى وادي جازان الآتي إليها من جهة الحفائر، إلى ساحل البحر، ويربو طولها، من الشرق إلى الغرب، على كيلومتر ونصف. ويظن أن المنجارة كانت عامرة إلى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

ومن حسن الحظ أن موقعي المنارة والمنجارة شُملا بالمسح الآثاري الذي أجرته الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف للمنطقة الجنوبية الغربية من المملكة سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. وقد أشار التقرير المبدئي، الذي نُشر في أطلال، لذلك المسح إلى أن السهل الساحلي في تلك الجهة به أكبر تجمع للمدن القديمة على الضفة الشمالية لوادي جازان، بل إن مناطق الاستيطان القديمة تمتد فيه من الساحل إلى الداخل حوالي ١٥كم، وأنّ أقدم ما فيها من آثار تتمثل في موقع المنارة (٢١٧-١٠٣ أ.ب، حسب سجل إدارة الآثار والمتاحف) القريب من ساحل البحر الأحمر. ويذكر التقرير أن من أهم تلك الآثار وأكثرها انتشاراً المواد الفخارية ذات اللون الأحمر المصنوع من عجينة ممزوجة بالقش، إذ عثر من تلك المواد على مجموعة كبيرة من الآنية المتنوعة، بما في ذلك الأنواع ذات المقابض الرأسية، والأوعية المزخرفة بخطوط محززة ومتعرجة. كذلك أمكن التعرف على عدد من كسر الفخار

العباسي المزجج بالطلاء الأزرق. ويضم الموقع أيضاً كسراً من الحجر الصابوني، والأنصال المعدنية، وبعض شظايا الزجاج.

أما موقع المنجارة ذو الرقم ٢١٧-١٠٩ حسب سجل إدارة الآثار والمتاحف فبالإضافة إلى احتوائه على نماذج فخارية شبيهة بتلك التي عثر عليها في موقع المنارة، فقد تم الكشف فيه أيضاً عن بعض الدراهم الفضية، منها درهمان أمويان مؤرخان؛ أحدهما ضرب في عهد عبدالملك بن مروان سنة ٨٦هـ/ ٧٠٨م، والآخر في عهد ابنه الوليد سنة ٩٠هـ/ ٧١٢م.

جازان العليا

على خط الطول ٥٥َ ٤٢ْ شرقاً ودائرة العرض ٠٣َ ١٧ْ شمالاً تقوم أطلال مدينة جازان العليا على بعد حوالي ٨كم إلى الشمال الشرقي من محافظة أبو عريش الواقعة على الحافة الجنوبية لوادي جازان، وإلى الشرق من قرية حاكمة التي أُقيم فيها مشروع الأبحاث والتنمية الزراعية بوادي جازان جنوب غرب المملكة، وتعرف باسم الدَّرْب، أو دَرْب النَّجاء، وتشتهر باسم جازان العليا، تمييزاً لها عن جازان الساحلية، الميناء المشهور على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، والعاصمة الإدارية الحالية لمنطقة جازان.

ولا يعرف شيء محدد أو مؤكد عن تاريخ تأسيس مدينة جازان العليا، ولا عن اسم مؤسسها، أو تاريخ اضمحلالها واندثارها، وإن كانت هناك بعض الإشارات الواردة في ديوان الشاعر القاسم بن هتيمل، من رجال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، يستشف منها أنها كانت معروفة في ذلك الوقت، فضلاً عن أنها كانت عاصمة للأشراف الغوانم الذين استقلوا بحكم منطقة جازان في الفترة من سنة ٦٢٨-٨٠٣هـ/ ١٢٣٠-١٤٠١م. ومن المحتمل أن عصر ازدهارها، وربما بناء قلعتها المعروفة باسم الثريا، كان في عهد مؤسس الأسرة القطبية، خالد بن قطب الدين (ت ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)، إذ وردت إشارات طفيفة في ديوان شاعر آخر، هو الجراح بن شاجر، من شعراء القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، تنسب تلك القلعة ومرافقها الملحقة بها إلى خالد بن قطب الدين. ويؤكد هذه الإشارات المؤرخ علي بن عبدالرحمن البهكلي بقوله «ولا أظن العامر لها غير خالد بن قطب الدين وأولاده».

ومهما يكن من أمر مؤسس هذه المدينة أو العامر لقلعتها، فإنها اتخذت عاصمة للمخلاف السليماني طوال حكم أسرة الأشراف الغوانم، كما بقيت عاصمة للمخلاف أيضاً طوال عهد أسرة الأشراف آل قطب الدين التي ورثت عن الغوانم حكم المخلاف ابتداءً من سنة ٨٠٣هـ، واستمرت في الحكم إلى أن سقطت نهائياً على يد أمير مكة المكرمة، الشريف أبي نمي بن بركات المتوفى سنة ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م.

وعلى الرغم من حصانة مدينة جازان العليا فإنها تعرضت لعدة كوارث أدت في النهاية إلى خرابها واندثارها. فمن تلك الحوادث الحريق الذي تعرضت له سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م على يد أمير مكة المكرمة، الشريف محمد بن بركات المتوفى سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م. وفي سنة ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م تعرضت للنهب والتدمير على يد حاكم زبيد الجركسي، سلمان الرومي، المتوفى سنة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م، الذي أمر بإحراقها وجميع قرى وادي جازان من أعلاه إلى أسفله. يلي ذلك مهاجمة أبي نمي بن بركات، أمير مكة المكرمة، لها سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م، حين قضى على حكم الأسرة القطبية،

منظر عام لموقع جازان العليا يظهر فيه ركام المنازل مغطاة بأشجار الأراك

ودمر بيوت المدينة، وهدم قلعتها الثريا. وآخر الحوادث التي تعرضت لها مدينة جازان العليا، كانت سنة ٩٦٥هـ/ ١٥٥٨م في العهد العثماني المبكر، عندما دمرت تدميراً كاملاً، وربما تركت خراباً.

ولم تمتد إليها يد التعمير بعد ذلك، باستثناء تلك المحاولات التي تمت في عهد الشريف أحمد بن غالب، من أشراف مكة المكرمة، الذي قدم منها إلى المنطقة، وحكمها ثلاث سنوات ١١٠٢-١١٠٥هـ/ ١٦٩٠-١٦٩٤م. ولا نعرف مدى نجاحه في تعميرها وبقائها بعد محاولته تلك، لأنه هزم وعاد إلى موطنه بالحجاز، تاركاً مدينة جازان العليا. ويبدو أنها دخلت في طور من الخراب والاندثار بعد هذا التاريخ، وحلت محلها جارتها في الجنوب، مدينة أبو عريش التي أصبحت فيما بعد عاصمة للمخلاف السليماني.

وتقع أطلال مدينة جازان العليا على الحافة الجنوبية لوادي جازان، وإلى الشرق من قرية حاكمة وتطل على الوادي من موقعها المرتفع في طرف الحرة المسماة حرة امْرَاح أو الرّاح.

وهي مغطاة بغابة من شجر الأراك الذي يمتد ليغطي معظم الجدران المتبقية من أطلال المدينة، بحيث لا يرى منها إلا بعض أطراف السور الذي كان محيطاً بالمدينة حين ازدهارها، حتى إن الأهالي يسمون الموقع باسم الجُدُر أو الجدور نسبة إلى جدران الأسوار المحيطة بالموقع. أما داخل السور فمن الصعب تبين أطلال القلعة، والمرافق الملحقة بها، ومنازل المدينة ودورها، لأن كل هذه الأطلال علتها أشجار الأراك الضخمة، ولا يرى من خلالها إلا ركام الأحجار، وبعض أطراف الجدران التي لا تزال متماسكة. وهناك بعض البقع بين الأشجار تتخللها أساسات بعض المنازل، ومسجد صغير، وهي بقايا لا يمكن أن تشكل وحدها صورة لتلك المدينة التاريخية. ولا يمكن عمل خريطة تخطيطية للموقع، أو تقديم وصف دقيق له إلا بعد إزالة تلك الأشجار.

على أن هناك وصفاً مفيداً تركه لنا البهكلي عند تجديد قلعة جازان على يد الشريف أحمد بن غالب في شعبان سنة ١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م، إذ يذكر أن الشريف أحمد أمر بقطع الأشجار التي سترت أرضها، ثم ضرب خيمة بالموقع، وأكثر من الصناع والعمال الذين امتلأ بهم المكان بعد أن كان مقفراً، وبالغ في إعادة تلك القلعة كما كانت، وأقامها على أُسسها القديمة التي كان عرضها سبعة أذرع

بقايا أحد الجدران القائمة بالمدينة الأثرية – جازان العليا

ونصف الذراع، ومساحتها عند إعادة بنائها كانت حوالي ٧٠٠٠م٢. ويذكر أن الشريف أحمد بن غالب بذل عناية فائقة في توثيق بنيانها وإحكامه حتى تستطيع الصمود في الحروب وشدة الحصار. وزار العقيلي أطلال مدينة جازان العليا مرتين قبل ثلاثين سنة، ولعل الولوج إليها في ذلك الوقت كان أسهل مما هو عليه اليوم، فقد استطاع تَبَيُّن موقع القلعة وبعض مرافقها، على الرغم من وجود الأشجار الكثيفة التي كانت تغطي بعض جدرانها، إذ يذكر أن أطلال القلعة تقع في الناحية الشمالية الغربية، وأنها تتكون من عدد من المباني، ومن أبراج قوية البناء، تظهر عليها بقايا النورة التي طليت بها، وبداخلها بئر واسعة. ولا تزال حوائط القلعة وغرفها متماسكة البنيان، يصل ارتفاع بعض جدرانها القائمة إلى ستة أذرع، وإن كان أغلب مبانيها مردوماً ومدفوناً. ويذكر العقيلي أيضاً أن بقية المباني تقع إلى الشمال والجنوب من القلعة، فمن ذلك وجود آثار حصن في الجهة الجنوبية الغربية، له بوابات رئيسية محاطة ببرجين قويين أيضاً، ويليها مبانٍ متهدمة ومسجد صغير. وكانت المدينة مسورة، وما زالت

بقايا أسوارها ماثلة للعيان حتى اليوم، ويصل ارتفاعها في بعض الجهات إلى ثلاثة أمتار. ويُقَدّر العقيلي محيط السور بما يزيد على ٤كم، ويرى أنها المدينة الوحيدة من مدن المخلاف التي كانت محاطة بأسوار.

جُبَّة

تقع قرية جُبَّة داخل الجزء الجنوبي لصحراء النفود الكبير، على خط الطول ٥٦َ ٤٠ْ شرقاً ودائرة العرض ٤٠َ ٢٨ْ شمالاً، وتبعد عن مدينة حائل بنحو ١٠٠كم باتجاه الشمال الغربي. والموقع حوض بحيرة قديمة منخفض، تحيط به الرمال من جميع الجهات، وقد زحفت على أجزاء واسعة منه. وما بقي من الموقع تمثله سلسلة من جبال الحجر الرملي ممتدة على الطرف الغربي للحوض، وتحتوي على كثير من الملاجئ الصخرية الطبيعية والينابيع الناضبة.

ونظراً لوقوع جُبَّة في صحراء النفود الكبير، لم يتمكن أغلب الرحالة الغربيين-الذين زاروا شمال المملكة خلال القرن الماضي وأوائل القرن الحالي-من الوقوف عليها أو المرور بها. وربما كان أقدم من زارها من الرحالة الغربيين السيدة بلنت Blunt سنة ١٨٧٩م، وقد نشرت عنها بعض المعلومات سنة ١٨٨١م. وبعدها بأربع سنوات مر بها اويتنج Julius Euting سنة ١٨٨٣م، ونشر عنها معلومات ذات صلة برسومها ونقوشها سنة ١٨٩٦م. وفي سنة ١٩٧٧م مر بها فريق من إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف خلال مسحه للأجزاء الشمالية للمملكة، ونشر عنها معلومات مختصرة سنة ١٩٧٨م. ثم أجرى أندرو جارارد وهارفي Garrard and Harvey سنة ١٩٨٠م دراسة ميدانية عن جُبَّة تهتم ببيئتها إبان البلايستوسين والهولوسين. وبعد ذلك زارها فريق مسح النقوش والرسوم الصخرية من إدارة الآثار والمتاحف سنة ١٤٠٦هـ، ونشر سنة ١٤١٣هـ تقريراً عن رسومها الصخرية ونقوشها، وعن بضعة مواقع أخرى بالقرب منها.

وتفيد الدراسات التي أجريت أن جُبَّة من أشهر مواقع العصور الحجرية والرسوم الصخرية والنقوش في المملكة، إن لم تكن أشهرها. ويُعزى ذلك إلى وجود عدد من مواقع العصور الحجرية فيها، وتنوع وكثافة الرسوم الصخرية التي تظهر على واجهات الجبال المحيطة بها، بالإضافة إلى وجود العديد من النقوش الثمودية. وقد أُرّخت المخلفات الثقافية في جُبَّة استناداً إلى طبقات الملاط القديمة

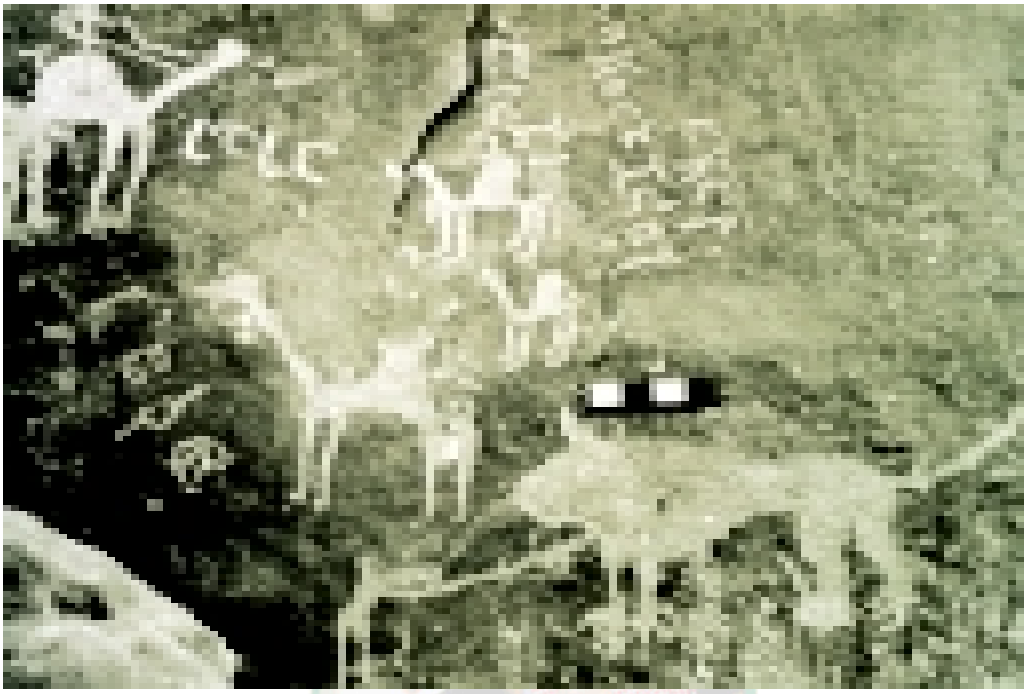

رسوم ونقوش في موقع جبة

Stuco التي تتراكم على الصخور، وإلى الرسوم والنقوش، وتقنية الأدوات الحجرية، وأنواع خطوط الكتابة، وظهور بعض الرسوم المميزة التي كان لظهورها صلة بالتغيرات البيئية أو نمط المعيشة.

وتشمل الآثار المعروفة في جبة، استناداً إلى ما جاء في الدراسات المشار إليها، المواضع التي ارتادها إنسان العصور الحجرية، والأدوات التي استخدمها ذلك الإنسان، ودوائر حجرية، ورسوم صخرية، ونقوش كتابات قديمة.

وربما يعود تاريخ أقدم موضع ارتاده الإنسان في جبة إلى العصر الحجري القديم الأوسط، فقد عُثر على أدوات حجرية من نمط الصناعات الموستيرية Mousterian في موضعين: أحدهما يقع بالقرب من قمة جبل أم سنمان، ويعتقد أنه مكان لقلع الأحجار، والآخر على حافة الصخور الرملية في الركن الجنوبي الشرقي من الجبل، ويوجد فيه الحجر الرملي الحديدي، وأدوات مصنّعة من الكوارتز المحلي. كما عثر في موقع إلى الشرق من الموقع السابق على أدوات حجرية من نمط الصناعات الليفالويزية Levallois، ويقدّر العمر الزمني للأدوات الحجرية ما بين ٨٠,٠٠٠- ٤٠,٠٠٠ سنة.

وشهدت نهاية العصر الحجري الحديث وبداية العصر النحاسي -أي نهاية الألف الخامس ق.م- ارتياد الإنسان للمنطقة، فقد وجد في اثني عشر موضعاً أدوات ذلك الإنسان. وتتمثل أدوات نهاية العصر الحجري الحديث في رؤوس سهام دقيقة، وأنصال، ومخارز، ومكاشط طرفية مصقولة، وسواطير كبيرة، ومجارف، وقليل من الفخار. وتمثلت مادة صناعتها في أحجار متنوعة، مثل الشيرت والريوليت والحجر الرملي الحديدي والكوارتز. وإلى هذه الفترة يمكن أن تنسب الرسوم الصخرية التي عُثر عليها على امتداد جبل أم سنمان، وتلك التي فوق جبل غوطة. وتشمل هذه الرسوم الأبقار ذات القرون الطويلة والقصيرة، المصاحبة لأعداد من المجسّمات من نمط العصيّ، وتكون أجسامها غالباً موسومة بعلامات ورسم الجسد الجانبي، ويصحبها أشكال بشرية مكتنزة برسم جانبي تحت الوسط ووجه كامل فوقها، والأذرع رفيعة للغاية وتكشف عن تفاصيل دقيقة للملبس والمعدات. ويشمل الملبس لباساً مسطحاً لقمة الرأس محلى بالشراشيب، وزخرفة صدرية مستديرة سطحية النقش، وشرائط جوفية أفقية محفورة، وتتدلى أحزمة من الوسط. وهناك بروز من الجسد المكتنز عند طية الفخذ، مع الاتصال بالجذع عند الوسط، وعلى الوسط السفلي تتدلى تنورة مقلمة محددة الفخذين. والأشكال الآدمية المكتملة يحمل بعضها أقواساً وحبالاً وسهاماً ونصالاً أو رماحاً، وربما عصيّ الرمي والهراوات، وأدوات منجلية الشكل ذات مقابض قصيرة. أما الحيوانات فتظهر منها الجياد والوعول والماعز والأغنام والغزلان وكلاب الصيد. كما تظهر أشكال لنساء من ذوات الشعر المضفّر المتدلي، ويلبسن صدرية مزخرفة تغطي الجزء العلوي للصدر، وتنورات زاهية فوق بروز البطن. وإلى جانب ذلك هناك اختلافات نمطية بارزة بطبيعتها، خاصة بالأذرع.

وتشمل الأشكال المصورة بالحز أقواساً مشغولة بالسلك، وشفراتِ أسهم أو رماح، وأدوات مقوسة، ربما لرمي العصيّ، وأشكالاً منجلّية مقوسة لها أيدٍ، وأداة كالهراوة أو المضرب، وأشكال حقائب لها أيدٍ متدلية على الأكتاف.

وتحمل بعض مناظر نقوش جبة أشكالاً لجياد أعرافها متدلية، وعلى أجسادها علامات، في شكل وسم أو رسم، ولبعض هذه الجياد حلقة أنفية

واحدة في الخشم. كما تشمل الأشكال الوعول، وفصائل مختلفة من الغنم والقطط أو النمور، في حالات الصيد بمطاردة الكلاب. وتحمل كذلك أشكالاً آدمية منفذة من جانب واحد، مع بقرة أو جواد في مواجهة مجموعة مترابطة من الحيوانات ذوات القرون. وهناك شكل واحد يُظهر شاة أو ماعزاً على نحوٍ مقلوب، القوائم لأعلى، والرأس باتجاه الأرض.

أما مجموعة الرسوم العائدة للفترة الثمودية فيظهر فيها الجمل، أحياناً بذيل مقوس إلى الأعلى وبه خيوط الشعر الريشية. وتضم كذلك الخيل والوعول والفهود والنعام، وأشكالاً آدمية مسلحة بالحراب التي تظهر في نمط العصي، إضافة إلى أشكال النخيل التي تتخللها أحياناً بعض الأشكال المتسلقة، وأشكالاً أخرى شائعة من ذوات الأيدي والأقدام.

أما رسوم المجموعة الثالثة فتتمثل في أشكال لراكبي الجياد أو الجمال، تشبه العصيّ، وهي غالباً ما تحمل حرابها. وأشكال الوعول والطيور التي يظهر بعضها مخضباً باللون الأحمر. وبالإضافة إلى ذلك يوجد رسم محزوز مبسطٌ لعجل يجره جوادان، وهيكل تجريدي لشكل الغول ورسوم للكؤوس.

وقد وجدت بالقرب من جبل أم سنمان مجموعة من الدوائر الحجرية والركامات، على هضبة يتراوح ارتفاعها بين ٥٠-١٠٠ متر عن الحوض شمال قمة جبل أم سنمان الرئيسية.

أما المجموعة الكبرى الأخرى فيمكن أن تؤرخ بالفترة الثمودية في الألف الأول ق.م، لأن نقوش تلك الفترة تظهر مصاحبة للرسوم الصخرية العائدة إلى الفترة ذاتها. وتشتمل رسومها على الجمال والجياد والوعول والماعز والأغنام والغزلان والأشكال الآدمية التجريدية، التي تظهر أحياناً ممتطية الجياد. وتظهر شجرة النخيل وعليها شخص يتسلق ليخرف الرطب.

وقد سُميت الفترة الثالثة بالفترة العربية، وفيها ظهرت رسوم آدمية تجريدية ورسوم الوعول والخيول، وأشخاص على ظهور الجمال.

ويتضح أن رسوم جُبة تمثل عصوراً مختلفة، فقد لوحظ أن الرسوم مركبة بعضها فوق بعض مما يعني تتابعها زمنياً. وربما كانت أهم مجموعات الرسوم الصخرية في موقع جبة، هي تلك التي تعود إلى العصر الحجري الحديث. ثم تأتي مجموعة الرسوم العائدة للعصر الثمودي، ويقصد هنا الألف الأول ق.م.

واستُخدمت في تنفيد رسوم جُبّة طريقتان، إحداهما طريقة الحز، والأخرى الحفر أو النقر الغائر. وأغلب رسوم الموقع نفذت إما بانحراف أو من منظور جانبي. وتحتوي رسوم جبة الصخرية على العديد من الموضوعات، منها الإنسان والحصان والأبقار والوعول والكلاب والماعز. وعلى الرغم من أن أشكال الحيوانات في رسوم جبة تتفاوت، إلا أنها تظهر بقرون طويلة ووجوه بيضية. وفي بعض الأحيان تظهر زخرفة على أجسام الحيوانات، خاصة الأبقار، قد تكون على هيئة شبكة معينية الأشكال أو مربعات أو مثلثات. أما الجواد فيظهر رسمه وعليه رمح يخترق وسطه، علماً بأن الرسم يفتقد إلى الحركة. وتظهر الرسوم البشرية غالباً بالحجم الطبيعي للإنسان، في رسوم العصور القديمة، أما العصور المتأخرة، مثل العصر الثمودي -فترة الألف الأول ق.م-، فإن رسومه تظهر في حجم أقل. وتتميز رسوم الإنسان بأن أجزاءها الأمامية تظهر على نحو يبين كافة الملامح، بينما تظهر الأجزاء السفلى للجسم بوضع منحرف. وتظهر الأيدي نحيفة وعودية، أي كأنها عبارة عن خطوط.

رسوم محفورة على واجهة صخرية في جبل أم سنمان

وعلى كل حال فإن الأعمال الآثارية الميدانية عن جُبَّة قليلة، ولعل المزيد من الأعمال الآثارية الميدانية يضيف اكتشافات جديدة.

جبل العوايشة

يقع على بعد ٣٥كم جنوب غرب البدع، وعلى بعد ٥٠٠م جنوب مقنا على ساحل البحر الأحمر، على خط الطول ٥٢َ ٣٤ْ شرقاً ودائرة العرض ٢٢َ ٢٨ْ شمالاً، والموقع هضبة جبلية ترتفع حوالي ٤٠م فوق مجرى وادي الحمضة، حيث ترتفع بقايا مستوطنة سكنية أو قلعة على قمة هضبة جبلية تعرف باسم جبل العوايشة، وتمتاز بموقعها المشرف الحصين، إذ تطل على كل الأودية والمناطق المحيطة بها، فهي تطل على وادي الحمضة وتشرف على ساحل البحر الأحمر غرباً. وتحيط بالموقع جبال مختلفة الألوان منها جبال ذات صخور جرانيتية حمراء، وجبال ذات صخور جبسية هشة، وقد استخدمت حجارة الجبال المحيطة بالموقع في عملية البناء، وكما يبدو فإن المبنى صمم على شكل مربع تقدر مساحته بحوالي ١٠٠×١٠٠م بني من الحجارة الجرانيتية الحمراء وبعض أحجار الأودية البيضية الشكل التي تثبت بالمونة، وتغطي بقايا أساسات المبنى وجدرانه معظم سطح الهضبة، وتمتد إلى منحدر الواجهة الجنوبية للجبل.

والبناء الرئيسي في القلعة يتكون من ست غرف أو حجرات تشغل مساحة تقدر بحوالي ٢٣,٢٠×١١,٧٥م، وهذه الحجرات ذات تخطيط مربع ومستطيل الشكل، وقد بنيت من الحجارة الكلسية بيضاء اللون المنحوتة بدقة من صفين من الحجارة المثبتة بالمونة، ويبلغ سمك الجدار حوالي ١٢٠سم، وتظهر ارتفاعات جدران المباني على ارتفاعات مختلفة تصل إلى ارتفاع مترين، كما توجد حجرة ملاصقة لتلك الحجرات تقع في الجهة الشمالية من البناء الرئيسي، مستطيلة الشكل بمساحة ١٢,٢٠×٤م، وعرض جدارها الخارجي ١٥٢سم، وقد شيدت من الحجارة الجرانيتية، واستخدمت الحجارة الكلسية في بناء بعض الغرف داخل القلعة، وتبلغ أطوال بعض الحجارة المستخدمة في عملية البناء ٥٠×٣٠سم. ويحوي الموقع بقايا أساسات وجدران أبنية تنتشر في أجزاء مختلفة من الموقع تشغل مساحة ذات امتدادات تقدر بحوالي ٥٥م من الشرق إلى الغرب، وحوالي ٤٥م من الشمال إلى الجنوب، وقد

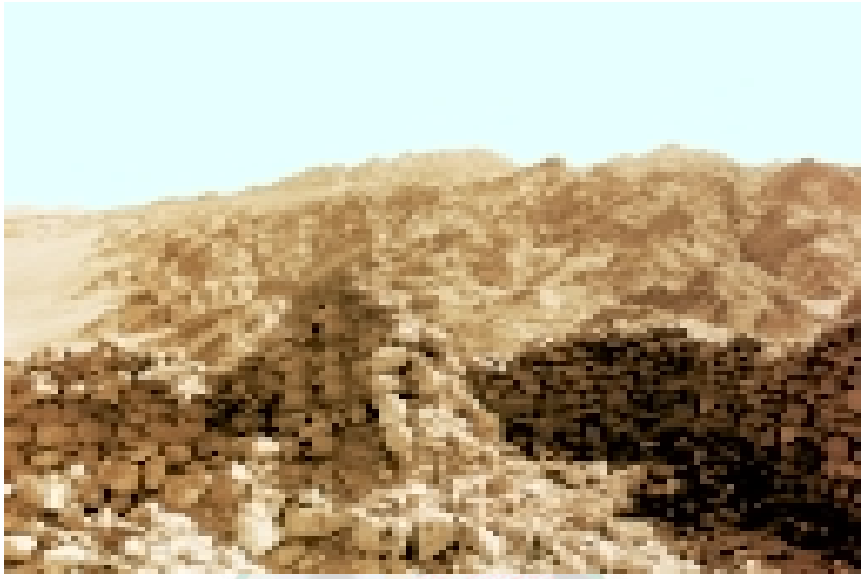

جانب من موقع جبل العوايشة

شيدت تلك الجدران من الحجارة الجرانيتية التي ثبتت بالمونة.

كما يضم الموقع عدداً من الدوائر الحجرية التي شيدت من نوع واحد من الحجارة، ويبدو أنها قد بنيت فوق أساسات وجدران غرف الموقع. وقد وجدت طبقة من الرماد تغطي بعض أجزاء الموقع، وتحتوي على كسر من الفحم وعدد كبير من بذور التمور بالإضافة إلى عدد كبير من الكسر الفخارية المختلفة. وعلى مسافة ٣٥م تقريباً شمال غرب البناء الرئيسي بالموقع وعلى مرتفع جبلي متصل بجبل العوايشة توجد بقايا لأبنية دائرية الشكل مشيدة من الحجارة الجرانيتية، وهي من نفس نوع الحجارة التي شيدت منها غرف الموقع، وهي بقايا قبر ذي شكل بيضي إذ توجد كسر العظام وجماجم آدمية فوق سطح أحد هذه القبور، وتقدر أبعادها بحوالي ٩,٦×٩,٦م. وتنتشر على سطح الموقع العديد من الكسر الفخارية والأدوات الحجرية الصغيرة والكسر الزجاجية، ويؤرخ الموقع بالفترة النبطية والرومانية.

جدة

مدينة على ساحل البحر الأحمر تقع على خط الطول ١٢َ ٣٩ْ شرقاً ودائرة العرض ٣٠َ ٢١ْ شمالاً، وتبعد عن مكة المكرمة ٧٣كم. وهي في ضوء المعلومات

التاريخية والجغرافية والأثرية المتوافرة عنها، بلدة قديمة، سكنتها قبيلة قضاعة قبل الإسلام بفترة طويلة، وكانت معروفة عند ظهور الإسلام مرسى للسفن. ويذكر بعض المؤرخين أن الخليفة عثمان بن عفان # أول من اتخذها ميناءً لمكة المكرمة، بدلاً من الشعيبة التي تقع إلى الجنوب من مدينة جدة الحالية بمسافة ٦٨كم. وكانت من قبل ميناءً لمكة المكرمة.

وقد مرت جدة بفترات من التطور والازدهار، تخللتها فترات من الضعف والانكماش، بسبب الفتن والأحداث التاريخية التي شهدتها الجزيرة العربية. ولكنها ظلت عبر التاريخ الإسلامي ميناءً تجارياً مهماً للحجاز، يخدم مكة المكرمة على وجه الخصوص. وعن طريق ميناء جدة نُقل إلى مكة المكرمة الكثير من مواد البناء الخاصة بعمارة وتوسعة الحرم المكي الشريف في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك والخليفة المهدي وغيرهما. وكانت بعض مواد البناء تصل إلى جدة بواسطة السفن ثم تنقل تلك المواد إلى مكة المكرمة بواسطة عربات تجرها الدواب. ووصف الجغرافيون جدة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بأن بها منبراً، وأن ماءها من الصهاريج وآبار الشرب. وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد وصفوها بأنها مدينة محصنة عامرة آهلة، وأن بها قصوراً عجيبة وأزقتها مستقيمة ولكنها تعاني من قلة الماء مع وجود برك كثيرة فيها، ويُحْمل إليها الماء من أماكن بعيدة. ووصفها العديد من الجغرافيين المسلمين بأنها مدينة محصنة، وبها تجارة واسعة، وأن غالبية تجارها من الفرس. كما شاهدها ابن جبير في القرن السادس الهجري غير مرة، ووصفها بأنها قرية، وأكثر بيوتها أخصاص، بالإضافة إلى وجود فنادق مبنية بالحجارة والطين. ويقول ابن جبير «وبهذه القرية آثار قديمة تدل على أنها كانت مدينة قديمة. وأثر سورها المحدق بها باق إلى اليوم». ووصفها ابن المجاور، المتوفى بعد ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، بازدحامها في موسم الحج، وأن بناءها من الحجر الكاشور والخوص، وكلها خانات. ومن الرحالة الغربيين الذين زاروا جدة وأقاموا فيها الرحالة كارستن نيبور سنة ١٧٦٢م.

كما وصفها كل من إبراهيم رفعت باشا في ذي القعدة ١٣١٨هـ والبتنوني في ذي الحجة ١٣٢٧هـ بما اشتملت عليه من مرافق وخدمات، بالإضافة إلى بيوتها الشاهقة المكونة من طابقين إلى خمسة طوابق. ووضع عبد القدوس الأنصاري سجلاً يشتمل على كل ما يتعلق بتاريخ

جدة وجغرافيتها والحياة الاجتماعية فيها ومعالمها البارزة بعنوان تاريخ مدينة جدة.

ومن خلال استعراض المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية يتضح أن جدّة تطورت إلى مدينة إسلامية متكاملة المرافق الضرورية للميناء الذي ترسو فيه السفن وتنقل السلع والمسافرين من الحجاز وإليه للحج والعمرة والتجارة. كما اشتملت مدينة جدة على المباني العالية والمساجد والخانات والفنادق والمستودعات والأربطة والزوايا والبيوت والمباني العامة والأسواق. وقد ساعد سورها المبني سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م في صد هجمات المعتدين عليها من البحر وإضفاء الأمن والطمأنينة على سكانها والمقيمين فيها. وكان لهذا السور الذي صُمِّمَ بشكل سداسي عدد من البوابات وهي: باب المدينة، باب جديد، باب مكة، باب شريف، باب النيط. وضم سور المدينة عدداً من الأحياء، ويسمى الحي حارة أو محلة، ويعتقد أن أقدم محلة تأسست في جدة هي محلة المظلوم في الجهة الشرقية منها، ومحلة اليمن، وهي أكثر التصاقاً بالبحر، وتتألف من قسمين أو حارتين رئيسيتين: حارة البحر وحارة الْعَلَوِي. ومحلة

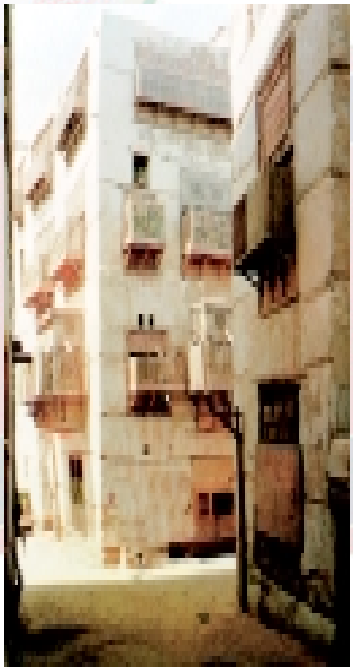

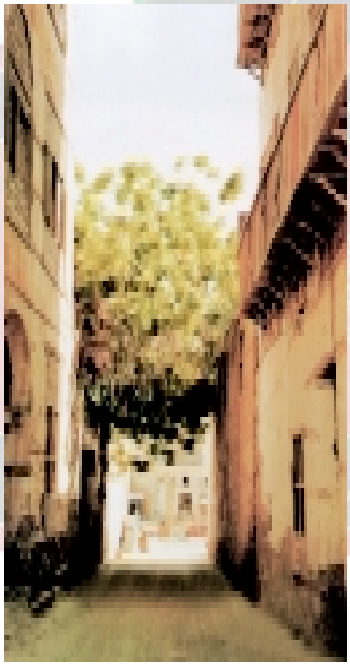

من حارات جدة القديمة

حارة من حارات جدة القديمة

نمط من المشربيات المنتشرة بكثافة في وسط مدينة جدة

الشام التي كانت فيها المباني الحكومية والفنادق والخانات. وتميزت مباني جدة بأدوارها المتعددة، وقد بنيت بالحجارة الجيرية المرجانية المنحوتة، والعوارض الخشبية للأسقف. وزودت المباني بالمشربيات أو الرواشين الخشبية البارزة ذات الأحجام المختلفة حسب حجم المنزل.

وتقوم هذه الرواشين بوظيفة النوافذ، إذ تسمح بدخول الهواء والإضاءة مع المحافظة على حرمة المقيمين داخل الغرف المقامة عليها هذه الرواشين. وتدل الأمثلة الباقية من الرواشين على مهارة النجارين الذين أبدعوا في زخرفتها بزخارف هندسية ونباتية.

ونظراً لتقارب المنازل وتقابلها انعكس ذلك على طبيعة الممرات والأزقة والشوارع التي يصل إليها ظل المباني من الشرق والغرب، وأعطت الحارة نوعاً من الخصوصية لسكان الحي الواحد، إذ ينتهي

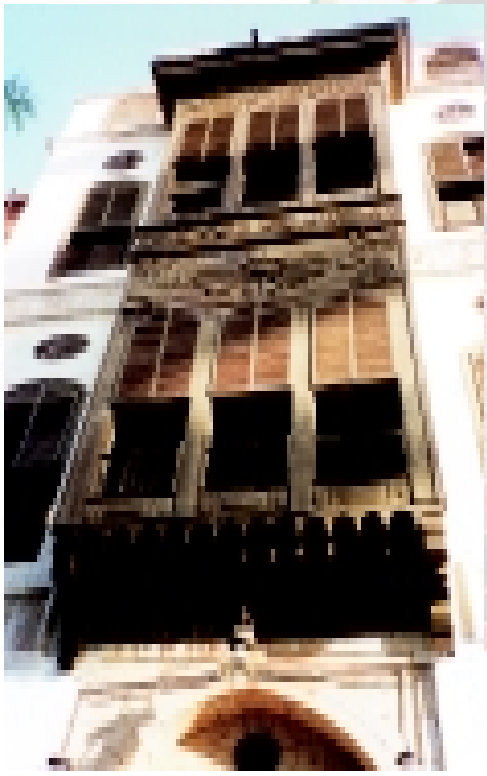

بيت نصيف في جدة

كل زقاق أو ممر بساحة أو مسجد أو زاوية يتجمع فيها الناس بمختلف طبقاتهم. وكانت الأدوار السفلية تشتمل على مجالس ومرافق للاستقبالات الرسميَّة وسكن الضيوف، بينما خصصت الأدوار العلوية للأُسْرَة والمرافق الأخرى للمنزل حيث يكون المطبخ ومحتوياته في آخر دور أو في الدور الذي قبله.

كما تميزت مدينة جدة بكثرة مساجدها، وقد وصل عددها سنة ١٣١٩هـ إلى خمسة جوامع و٣٠ مسجداً. ومن مساجدها القديمة الباقية حتى اليوم مسجد الشافعي، ومسجد عكاش أو عكاشة، ومسجد المعمار، ومسجد الحفني، ومسجد الباشا، ومسجد عثمان بن عفان (مسجد الأبنوس).

وقد بقيت مدينة جدة أول أمرها داخل سورها، ثم توسعت أحياؤها إلى خارج السور، الأمر الذي أدى إلى هدم السور المحيط بالمدينة القديمة سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م. وقد حوفظ على الحي القديم في مدينة جدة، واختير منه ٥٥٨ مبنىً لم تُهْدَم، لما لهذا الحي من أهمية تاريخية وطابع معماري مميز. وقد ساعد ذلك على توفير مادة معمارية وفنية فرضت نفسها على تخطيط العمارة الحديثة في المدينة وتصميمها.

واشتملت جدة القديمة أيضاً على مقبرتين رئيسيتين، هما: مقبرة أسد، ومقبرة حواء المذكورة في المصادر التاريخية والجغرافية وكتب الرحلات. وقد عثر أثناء حركة الإعمار والترميم في جدة على بعض شواهد القبور والنقوش الإسلامية التي يعود بعضها إلى القرن الرابع الهجري، وهي محفوظة الآن في متحف الملك عبدالعزيز الفني التابع لبلدية جدة.

مسجد المعمار بجدة

الجَدَر

يقع شمال البوير على خط الطول ٣٩° ٠٤ْ شرقاً، ودائرة العرض ٢٥° ٠٠ْ شمالاً، والموقع بقايا أساسات وجدران مبانٍ وتحصينات تنتشر فوق مساحة من الأرض الصخرية والرملية تقدر بحوالي ٢كم٢ تقريباً، وتمتد إلى أبعاد واتجاهات مختلفة يحيط بها مجموعة من الجبال والأودية والشعاب، فتقع إلى الجهة الشمالية للموقع جبال القرن الأحمر والقرن الأسمر، وإلى الجنوب وادي الحمض وقرية البوير، وإلى الشرق جبال سرفة وخشم الجدر، وإلى الغرب سيل وادي الحمض وجبل عنتر.

ويوجد في الجهة الجنوبية للموقع بقايا لبناء رئيسي مربع التخطيط تقريباً ٤٣,٥×٤٣م، بني من الحجارة البازلتية السوداء. ويدعم الجدران الخارجية للبناء عدد من الدعامات الدائرية الشكل بنيت مع الجدار، وهي مبنية من عدة أجزاء أو مداميك من الحجارة البازلتية يبلغ قطر الواحدة منها ٢٣٥سم، ويصل ارتفاع الأجزاء الظاهرة منها إلى ٩٥سم، وبعض الأجزاء الأخرى تصل إلى ارتفاع ٣٥سم، وبسمك ٨٠سم، من صف واحد أو مدماك واحد من الحجارة البازلتية غير المنحوتة أو المشذبة، ويدعم الجدار الخارجي الشمالي للبناء خمس من هذه الدعامات، والجدار الجنوبي دعامتان، والجدار الشرقي خمس دعامات دائرية، والجدار الغربي أربع دعامات دائرية. ويقع المدخل الرئيسي للمبنى في منتصف الجدار الشمالي، ويرتكز على جانبي المدخل دعامتان دائريتان بنيتا مع الجدار، ويبلغ قطر الواحدة ٢٣٥سم، وهي مبنية من الحجارة البازلتية، والأجزاء المتبقية منها تظهر على ارتفاع ٧٤سم من ثلاثة صفوف أو مداميك من الحجارة البازلتية الضخمة. والمدخل الرئيسي للبناء يؤدي إلى فناء مكشوف يحيط به من جميع الجهات بقايا جدران لعدد من الحجرات أو الغرف، وتقوم في الزاوية الجنوبية الشرقية للبناء أساسات مسجد مربع التخطيط ٤×٤م، بمحراب نصف دائري يبلغ قطره ١,٥م، والحجارة التي استخدمت في بناء المسجد تختلف عن الحجارة التي استخدمت في بناء المبنى، وربما يكون المسجد قد أضيف في فترة لاحقة للمبنى الرئيسي بالموقع. وعلى بعد ٦,٨٠م من المبنى توجد بقايا لجدار ضخم من الحجارة البازلتية يحيط بالبناء الرئيسي على شكل سور خارجي، وفي منتصف الواجهة الشمالية للسور الخارجي بقايا لمدخل يؤدي إلى مدخل البناء

الرئيسي، ويدعم السور الخارجي من الجهة الشرقية عدد من الدعامات الدائرية من الحجارة البازلتية يبلغ قطر الواحدة منها ٩٠سم، وفي الزاوية الشمالية الشرقية للسور تظهر بقايا لتسع درجات من الحجارة، كما ترتكز على جانبي الدرج من الأعلى بقايا دعامتين دائريتين تظهران على ارتفاع مدماكين أو صفين من الحجارة. ومادة البناء (الحجارة) هي من بيئة المنطقة. وتنتشر في الموقع الكسر الفخارية المختلفة والكسر الزجاجية وأجزاء من الرّحِيّ، إضافة إلى الأدوات الحجرية الصغيرة، ويرجع تاريخ هذه الآثار إلى حقب قبل الإسلام وبعده.

جُرَش

من أكبر المراكز التجارية في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية خلال فترة الممالك العربية القديمة. تقع في منطقة عسير على بعد ٢٥كم جنوب مدينة خميس مشيط جنوب المملكة، وترتفع عن البحر الأحمر حوالي ١٩٥٢م، وتقع على خط الطول ٥٥َ ٤٢ْ شرقاً ودائرة العرض ٠٥َ ١٨ْ شمالاً.

وترجع أهمية جرش لموقعها على طريق القوافل التجاري القديم الذي يربط ممالك جنوب الجزيرة العربية بشمالها،

موقع جرش

وهو موقع له أهمية كبرى لبقية المستوطنات والمراكز الحضارية في هذا الجزء من الجزيرة العربية. فمركز جرش التجاري يخدم منطقة واسعة تمتد من نجران جنوباً إلى أقاصي منطقة عسير شمالاً، ومن تثليث شرقاً حتى سواحل البحر الأحمر غرباً. ولا تذكر المصادر القديمة وجود أي مركز تجاري في هذه المنطقة مما يؤكد أن جرش كانت المركز الذي تنطلق منه المعاملات التجارية إلى بقية الأسواق الأسبوعية المحلية خلال عصر الممالك العربية. ويُمثل موقع جرش أحد المراكز الرئيسية لطرق القوافل التجارية المتجهة نحو شمال الجزيرة العربية إبان ازدهار تجارة جنوب الجزيرة العربية.

وقد هيأ الموقع الجغرافي الذي تمتعت به جرش مكـانةً متميزة لهـا، سواء من الناحية الاقتصادية أو السياسية، مما جعلها تصـنف ضـمن المـراكز الحضـارية ذات الأهمية الـكبرى، لا سيما خلال الـفترة الممتدة من القرن الأول إلى القرن السادس الميلادي. وفي هذه الفترة تضاءل النشاط التجاري عبر البحر الأحمر والخليج العربي واتجه إلـى الطرق البـرية، وهي الخطـوة الأولى التي أدت إلى احتكار قريش بمكة تجارة الجزيرة العربية ما بين جنوبها وشمالها فيما عرف برحلة الشتاء والصيف.

جانب من موقع جرش

وتُعرّف جرش، بأنها مدينة عـظيمة وولاية واسعة. وهذا التعريف يشير إلى أن جرش لـم تكن مدينـة فحسـب بل كانت مقاطعة كبيرة تضم تحت هذا الاسم أماكن أخرى. وجدير بالذكـر أن بعض مراكز الاستيطان كانت حياتها الاقتصادية والاجتـماعـية بـل والسيـاسيـة -رغم الصراعات القبليـة- تدين بحيويتها إلى جرش. ومن تلك المـراكز التي ما تزال تحتفظ بأسمائها إلى وقتنا الحاضـر: أبها والدارة والفُتَيْحا واللصْبَة والملحة وطبَبْ وأتانة وعـبل والمغْوثَ وجُرَشـة والحدَبة وتندحة والعيبا ووادي طلعان والقرعا.

وتشتـهر جرش منـذ القدم بزراعة الحبوب بمختلف أنواعها، البر والشعـير والذرة. ولخصوبة تربتها وتجددها سنوياً اشتهرت محاصيلها الزراعية بمكانة راقية لا سيما الفواكه، ومنها نوع من العنب يقال لـه جرشي لونـه أبيض يميـل إلى الخضرة رقـيق الحبة وهو أسرع الـعنب إدراكاً. وقيل إن عناقيـده طوال، وحبه متفرق، وأن العنقود منه يكون ذراعاً.

وتستخدم الـثيران والإبل في سقي المزارع من الآبار، أما وسائل المواصلات وحمل المحاصيل ونقل التجـارة فتعتمد علـى الحميـر والجمـال والبغـال وهي متوافرة.

ولحسن الحظ فإن جرش ما تزال تحتفظ بالكثير من الشواهد الأثرية، كأساسات ومداميك المباني المنحوتة بعناية فائقة من صخور البازلت والجرانيت، أو التي بنيت على طريقة أهل المنطقة بقوالب الطين والرقف. وهناك الكثير من كسر الفخار وأدوات الزينة والزجاج متناثرة على سطح الموقع.

وتحدثنا المصادر أن جرش اشتهرت بأدُمِها، فيقال: أديم جرشي، والأديم لا يسمى أديماً إلا بعد دباغته، ولذا فقد كانت دباغة الجلود حرفة جيدة، ربما لتوافر المواد الأولية التي تدخل في عملية الدباغة. وقد أوردت المصادر التاريخية أن المسلمين أثناء حصارهم للطائف كانت لهم دَبَّابَة جاء بها خالد بن سعيد بن العاص من جرش، والدبابة كما يذكر ابن منظور في معجمه: آلة تتخذ من جلود وخشب. أما الحدادة وما يتفرع عنها من صناعات، فتعتمد في المقام الأول على توافر مادة خام الحديد، ولا تمدنا المصادر المتاحة بمعلومات عن استيراد خام الحديد، ولا حتى دخوله ضمن مفردات البضائع التجارية بين ممالك جنوب الجزيرة العربية الغني بمعادنه. ولكن يكثر وجود خام الحديد في موقع جرش، مما يدل على أن مهنة تعدين الحديد وصناعته كانت رائجة في المنطقة.

وتشير الدلائل الأثرية إلى استمرار الاستيطان في الموقع نفسه حتى الفترة الصليحية (القرن الخامس الهجري)، ومما يؤيد ذلك ما عثر عليه من نقود صليحية أثناء الدراسة الميدانية التي تمت في المنطقة.

وقد دخلت جرش في الإسلام في قصة طويلة ذكرتها كتب السير والمصادر التاريخية، فحسن إسلام أهلها وحمى لهم رسول الله ﷺ حمىً وكتب لهم بذلك كتاباً.

وفي مجتمع تسوده حياة الاستقرار والتنوع الاقتصادي لا بُدَّ من أن تنشأ ظاهرة التخصص أو الاحتراف المهني. ولعل محدودية الأراضي الصالحة للزراعة في جرش وما يحيط بها أدى تلقائيا إلى الإسراع بظهور نظام الاحتراف المهني. فالمزارع المحترف لا بد له من مختصين مهرة لتلبية احتياجاته المدنية، مثل النجارة والحدادة والخرازة والدباغة. وهو أيضاً في حاجة إلى بنّاء حاذق، وإلى عامل ماهر. وكان هؤلاء المختصون يقايضون المزارع بحرفهم، في سبيل تأمين معيشتهم، من المنتجات الزراعية؛ وهي ممارسة ظلت سائدة في تلك المنطقة إلى وقت قريب.

جانب موقع جرش

وقد أسفرت البحوث والدراسات الآثارية التي أجريت في الموقع عن أنه اتبع في عمارة مبانيه أسلوبان؛ أحدهما النوع الضخم الذي يحتوي على أساسات حجرية مشيدة على طريقة الأطراف البارزة، باستخدام أسلوب التثبيت مثلث الزوايا، وهو أسلوب شائع في عمارة جنوب الجزيرة العربية للمباني التي يراد لها البقاء والاستمرارية. وقد ظهرت آثاره واضحة في بناء المنشآت الدينية، كالمعابد، أو المباني المدنية، كالسدود والقصور والمنتديات.

أما النوع الثاني من المباني فيتميز باستخدام الطين المحروق (الآجر) والطين والأحجار الصغيرة، إلا أن ما لحق بالموقع من دمار وما تعرض له من عوامل تعرية أزالت الطين من دون أن تمس الآجر أو الأحجار، مما جعل الموقع يبدو على هيئة كومات وتلال تنتشر على سطح الموقع.

وقد أظهرت نتائج تحاليل المواد العضوية التي درست من الموقع أن فترة استيطانه تعود لبداية القرن الأول الميلادي وربما قبل ذلك، وأنه بقي مستوطناً إلى فترات متأخرة تعود لفترة الصليحيين في القرن الخامس الهجري.

وتعكس المعثورات الأثرية التي وجدت في جرش أهمية الموقع التجارية، فقد وجد بإحدى طبقاته السفلى عملة رومانية أرخت بنهاية القرن الثالث

حفرية في موقع جرش

الميلادي، وضربت في الإسكندرية إبان احتلالها من قبل زنوبيا ملكة تدمر.

جبل حمومة. يقع جبل حمومة في الجهة الشرقية من جرش، وقد عثر فيه على ستة نقوش كتابية، معظمها بالقرب من قمته. كما وجد على قمته أيضاً بقايا أساسات لمبنى صغير مساحته ١٠م × ١٥م، بني من جلاميد ضخمة ملئت الفراغات فيما بينها بالحجارة الصغيرة. ويوضح مخطط المبنى وجود ثلاث غرف على الأقل ممتدة بالطول، وتتناثر حوله كمية من فخار بني اللون ممزوج بالقش ومطلي ببطانة حمراء، إضافة إلى بعض القطع المزججة ذات الزخارف المحزوزة.

ومن الأساطير المرتبطة بجرش وجبل حمومة –وهي سائدة بين سكان المنطقة في الوقت الحاضر– أن الموقع يضم كنزاً تحرسه الجن، وقد أشار هاري سنت جون فيلبي Philby إلى ذلك المعتقد عند زيارته للموقع.

الجواء

تنطق الجِوَاء بالكسر والتخفيف ثم المد، وهناك من ينطقها بإسكان الجيم بعد (أل) ثم واو مفتوحة فألف مقصورة (الجْوَا). وأصلها في الفصحى ممدودة. وكلمة الجِوَاء بكسر الجيم والوقوف على الهمزة، وكذا الجْوا بإسكان الجيم والوقوف على ألف ممدودة لا تزالان تستخدمان بالصيغة نفسها إلى يومنا الحالي. والجواء جمع جَوّ وهو في أصل اللغة الواسع من الأودية، والجواء الفرجة

بين محل القوم وسط البيوت، والجواء، بالهمزة، البطن من الأرض وقيل البارز المطمئن منها، وقيل البطن من الأرض الواسع في انخفاض.

وتطلق الجواء على ناحية مهمة من نواحي القصيم، تقع في الشمال الغربي من بريدة وقاعدتها عيون الجواء التي تقع على خط الطول ٣٧َ ٤٣ْ شرقاً ودائرة العرض ٢٩َ ٢٦ْ شمالاً، وتبدأ حدود الجواء التقريبية بخط، أوله من الجنوب نقطة بين القرعاء والشِّقة، ثم تذهب إلى الشرق فتمر بأبلق، ثم حدود البطين الغربية، ثم ينعطف الخط إلى الغرب تاركاً بلدة قُصيبا إلى الشمال، حتى إذا انتهى من الغرب إلى صلاصل انعطف جنوباً تاركاً جبلي ساق وصارة إلى الشرق منه حتى يصل الشيحية. وقد عُثر في الجواء على العديد من المواقع القديمة الدالة على العمق التاريخي للنشاط البشري، وهي على النحو التالي:

حصاة الطَّلحَة. هي كتلة صخرية مستطيلة الشكل، يصل طولها إلى مترين، وعرضها ٨٠سم وارتفاعها ٧٠سم، ولونها أصفر وطبيعتها غير قاسية. تقع هذه الحصاة، ضمن مرتفعات صخرية وأحجار متناثرة، على حزم فسيح تحيط به قيعان وشعاب صالحة للرعي، على بُعد ١٠كم في الجهة الشمالية الغربية من بلدة غاف الجواء. ومع صلاحية هذه الصخرة للكتابة إلا أننا لا نجد عليها سوى العديد من الأشكال المختلفة لوسوم، بالإضافة إلى نص ثمودي واحد يوضح فيه صاحبه، واسمه «سَعْد»، اشتياقه إلى حبيبته المدعوة «تهد»، وهو نص يظهر لأول مرة بهذه الصيغة في النقوش الثمودية.

حَصَاة النَّصلَة. أكمة صخرية حمراء من كتلة ضخمة واحدة، منعزلة عن سلسلة الجبال التي تحيط ببلدة غاف الجواء من الجهتين، الشرقية والشمالية. وهي على مشارف البلدة من الجهة الشمالية الغربية. وتسمى هذه الأكمة الصخرية بالحصاة أحياناً، وبحصاة النصلة أحياناً أخرى. وتعود التسمية الأخرى إلى الاعتقاد السائد بأنها قد نصلت، أي انفردت عن الجبل الذي يحدها من الجهة الشرقية. وقد شاع في العقود الأخيرة تسميتها بحصاة عنتر، نسبة إلى عنترة بن شداد العبسي، لأن المشهور أنها في مضارب قبيلته. وقد عُثر في هذه الصخرة على أنواع مختلفة لوسوم كانت تستخدمها القبائل القديمة التي كانت تقطن هذه المنطقة. وكذلك على رسومات حيوانية، فقد وجد في الواجهة الشرقية

لهذه الصخرة رسم لبغل أو حمار. أما الواجهة الجنوبية فقد عثر فيها على رسمين، الأول لوعل (تيس جبلي)، والثاني لجمل يميزه وجود رقبتين طويلتين متماثلتين، إحداهما تشير إلى وضع الجمل في حالة الرعي. كما عُثر على عددٍ من النصوص الثمودية، كلها مضمحلة العلامات، نتيجة للتخريب والعبث المتعمد من قبل الزائرين لهذا الموقع، عدا نصٍ واحد يُقرأ من اليمين إلى اليسار على النحو التالي «سعد ودد وجع» يعني: سَعْد حَبَّ واجع.

الحنادر. أكمتان تقعان على رأس جال مشرف إلى الغرب من محافظة عيون الجواء. والحنادر اسم جبل مشتق من وصفها، إذ إن (الحندورة) في الفصحى حدقة العين، وهو في واقع الأمر ما ينطبع في ذهن من ينظر إلى الأكمتين من جهة الجنوب، إذ يبدو الجال المشرف الذي تركبانه كأنه الجبهة، وهما كالعينين البارزتين. وقد عُثر في هاتين الأكمتين على وسوم مختلفة الأشكال، بالإضافة إلى رسوم صخرية، آدمية وحيوانية، وكذلك على نقشين ثموديين قصيرين.

رسوم لقدم إنسان من موقع قرب جبل الحنادر بالجواء

رسوم صخرية ونقوش من موقع الحنادر بالقرب من الجواء

وقد ضمت الرسوم الصخرية أشكالاً لحيوانات مختلفة، منها الجمل وحيوان آخر تدل ملامحه، وخاصة شكل قدميه وأذنيه، على أنه حمار. وتضم كذلك منظرين جيدين لعملية صيد، يستحقان أن يبينا لروعتهما بشيء من التفصيل. إذ يبين المنظر الأول أشكالاً ثلاثة. شكل لآدمي وآخر لوعل، وثالث لكلب صيد. ويظهر الآدمي، في تفاصيل واضحة ولباس يغطي كامل بدنه إلى الركبتين، وربما كان الرأس مجللاً بشيء ما، ويحمل في يده اليسرى قوساً كبيراً مُعداً للإطلاق، لكنه غير مشدود، أما اليد اليمنى فتحمل سهماً مثبتاً في منتصف القوس مصوباً نحو وعلٍ أمامه. أما الوعل فمتجه إلى الصياد، وأقدامه ثابتة ورأسه مستقيم، كأنه مستسلم لرمية الصياد. ويبدو كلب الصيد في حالة تأهب للانقضاض على الوعل بعد قذفه بالسهم. أما المنظر الآخر، الأكثر تعبيراً، فيمثل صياداً يحمل قوسه، وثلاثة أشكال لحيوانات، منها وعلان واضحة ملامحهما. ويظهر الشكل الآدمي بلباس فوق الركبة وممسكاً بيديه قوساً مجهزاً بسهم مصوب نحو الوعل الأوسط، الذي يبدو في استعداد للوثب، إذ يقف

على رجليه ومؤخرته في تعبير يوضح محاولته الدفاع عن نفسه. أما النقشان الثموديان القصيران، فيُقرأ الأول منهما من الأسفل إلى الأعلى على النحو التالي «ل رمل هعجل» أي «[هذا] العِجْل لرمال». أما النقش الثاني الذي يتكون من كلمة واحدة فيقرأ «ل ضو» أي (لضو) وهو من الأعلام التي ترد للمرة الأولى في الكتابات الثمودية، لكنه لا يزال متداولاً إلى يومنا الحاضر بصيغة ضَوْء.

صَلاصِل. هو جو فسيح منخفض عن سطح الأرض، يبعد إلى الشمال الغربي من بلدة غاف الجواء بحوالي ٣٠كم، وعن بلدة القوارة من ناحية الجنوب بحوالي ١٣كم. والاسم صلاصل، جمع الصَّلْصَال مخففاً. وفي مدخل صلاصل الجنوبي الشرقي يوجد جبل صخري أحمر، تقوم قدمه عند كتلة حجرية كبيرة، وجد فيها نص ثمودي يعود من أشكال علامته إلى الفترة الثمودية المبكرة. وقد تميز النص باستخدام كاتبه خطوطاً عمودية للفصل بين كلمات النص القصير، وهو يقرأ على النحو التالي «تيم لت/ بن/ مرالقس»، أي «تَيْم اللات بن امرئ القيس».

الضّلْع المُتَكَسر. يقع هذا الجبل الصخري ذو اللون المائل إلى الحمرة، في الجال الشرقي لبلدة أوثال. ولعل تسمية هذا الجبل بالضلع المتكسر تعود إلى تهشم كتل صخرية منه متناثرة أسفله. وقد ظهرت النقوش والرسوم الحيوانية والوسوم، التي تضم أشكالاً مختلفة، في جهتيه الجنوبية والغربية. وتمثل الرسوم الحيوانية مجموعات من الجمال، منها السائر ومنها ما هو في حالة رعي. وكذلك رسم تجريدي لثلاثة من الحيوانات من ذوات الأربع التي يبدو من ملامحها أنها تمثل كلب الصيد المعروف بالسلوقي، وقد رسمت متأهبة للانطلاق. بالإضافة إلى رسم لطائر فريد من نوعه في المنطقة، يبدو من ملامحه أنه لنعامة تمشي. أما النقوش التي وجد منها أربعة نقوش ثمودية تعود إلى الفترة الثمودية المتوسطة، فجميعها مقروءة بشكل جيد، فيما عدا نقش واحد اضمحلت معظم علاماته نتيجة للعوامل الجوية. وقدمت لنا هذه النقوش عدداً من أسماء الأعلام التي ترد للمرة الأولى في الثمودية، نحو «سواح»، «رفش»، «فران»، «جلبان». وأبرز النصوص الأربعة هو النص المقروء من اليمين إلى اليسار على النحو التالي «فرن

[ب] جلبان همر وغلمت» أي «[هذه العبدة] المارية والشابة لفرن بن جلبان» أو القراءة الأخرى، وهي الأقرب إلى الصحة، لأنه يوجد بجانب النقش ثلاثة رسوم لجمال «[هذه الناقة] النشيطة والشابة لفران بن جلبان».

عُرَيْجِين مَنْصور (غاف الجواء): هي أكمة صخرية صغيرة مرتفعة عما يحيط بها من الكثبان الصخرية، تقع إلى الشمال الغربي من بلدة غاف الجواء، وقد وجد على هذه الأكمة العديد من الوسوم والرسومات الحيوانية التي تضم وعولاً أو تيوساً جبلية وجمالاً في حالة سير حثيث. أما النقوش، فمنها ثلاثة كُتبت بالقلم النبطي، وهي قصيرة، من النوع المعروف بالتذكاري، أحدها اسم علم يظهر للمرة الأولى في النقوش النبطية، إذ جاء بصيغة «شقلت». وتكمن أهميتها في أنها تعود إلى بداية القرن الأول قبل الميلاد، وفي ذلك إشارة واضحة وجلية إلى الوجود النبطي في منطقة القصيم التي يعتقد بعض الباحثين أنها الموطن الأصلي لهم، قبل هجرتهم إلى الشمال الغربي للجزيرة العربية، الأردن وشمال الحجاز. أما النقشان الآخران فقد خُطا بالقلم الثمودي، وكتبا من قبل الشخص نفسه.

العُمَانِيَّة. ينطق هذا الاسم عند العامة بإسكان العين وليس بضمها، ولعل الأصل هو الضم، وهو عبارة عن جال صخري أحمر مرتفع يحيط بجوٍ أو نقرة منخفضة صالحة للزراعة والرعي تسمى الحقباء. ويبدو أن هناك علاقة بين الرسومات الحيوانية، التي تمثل جمالاً رسمت على استقامة واحدة، واسم هذا المكان العمانية، إذ أنها تشبه إحدى أشهر سلالتين من الإبل المعروفة في الجزيرة العربية، (العمانية) و(النجدية). ولأنها تشبه الإبل العمانية، أطلق عليه اسم العمانية. وقد وجد في هذا الموقع نص ثمودي يعود إلى الفترة الثمودية المتوسطة، يقرأ على النحو التالي «ل دشم ب قمل» أي «لداشم بن قَمْل».

القُلَّاع. يشكل موقع القلاع تلك المرتفعات الجبلية التي تمتد شمال وشرق بلدة (كَبْد). وهو سلسلة من الأكمات الصخرية الحمراء الداكنة، لذلك تكثر عليها النقوش الكتابية من الوسوم والرسومات الحيوانية، عن وعول وجمال وحمير، والآدمية، ويتمثل الشكل الآدمي بخط عمودي طرفه العلوي متوج بدائرة تمثل الرأس، وأسفله قوس يمثل الأيدي، وتكون في بعض الحالات

مرفوعة إلى أعلى، خاصة على الواجهات الشرقية والغربية، وإن كان معظم هذه العناصر قد فقد أهميته بسبب عوامل التعرية الطبيعية. والموقع لم يخلُ من الكتابات المقروءة، وعددها أربع، ثلاث منها أسماء أعلام، مثل «سحاجت» سحاجه، «حطم»، «عظ»، وترد للمرة الأولى في هذا النوع من النقوش. ويعد النقش المقروء من الأعلى إلى الأسفل أبرزها، وهو يقرأ على النحو التالي «ل رمل [ب] هحنك» أي «[هذا] الحَنْك [الجمل] لرمال بن أَحْب».